بسم الله الرحمن الرحيم

و الصلاة و السلام على سيد خلقه و أشرف بريته محمد و عترته الطيبين الطاهرين

قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[1].
و قال جل و علا: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾[2].

إنّ المشروع الوحيد القادر على تفعيل مشروع الوحدة هو المشروع الإلهي لا غير، و أما سائر الأطروحات فهي عاجزة عن تحقيق هذا المشروع، و غاية ما استطاعت هذه الأطروحات أن تحققه هو وحدة مصطنعة لا وحدة حقيقية.

و لذا نجد من أهم إنجازات الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) هو تحقيق الوحدة بين المسلمين بعد أن كانوا يعيشون حالة من التناحر و الاختلاف و التدابر و التقاطع، فجاء النبي (صلى الله عليه وآله) و آخى بين أفراد تلك القبائل و وحدهم، فشكلت هذه الحادثة حالة فريدة من نوعها عرفها تاريخ الجزيرة و الإنسان.

و الجدير بالذكر أن مسألة المؤاخاة قد تكررت في عهده (صلى الله عليه وآله) و تاريخ الإسلام أكثر من مرة.

❖ **واحدة من الدلالتين** التي ترشد لها قضية تكرار المؤاخاة هو أن النهوض بالأمة و تحقيق الإنجازات لا يمكن أن يكون في ظل التناحر و الاختلاف و التدابر مع وجود الأرضية

(١) آل عمران: ١٥٩.
(٢) الأنفال: ٦٣.

و المشتركات و العوامل المتعددة التي تحتم على المسلم أن يؤاخي أخاه و يتحد المسلم مع أخيه المسلم.

❖ **و الدلالة الأخرى** التي ترشد لها و تحملها قضية المؤاخاة هي أهمية الوحدة بين المجتمع الإنساني و المجتمع الإسلامي بالخصوص، و من هنا نجد في أساسيات ديننا التأكيد على هذا المبدأ (فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق)[٣] و هي الكلمة المشهورة لمولى الموحدين أمير المؤمنين عليه صلوات المصلين.

و هنا أود في هذا اللقاء الميمون و نحن نجتمع على ذكرى الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) أن أتناول كلاماً يثار في الأوساط العلمية و ربما يتبناه البعض، و هو أن مشروع الوحدة بين المسلمين هو مشروع سياسي و ليس طرحاً دينياً و لا أصل له عندنا مع وجود هذا الكلم من الاختلافات العقدية و الفقهية، بل حاول البعض أن يصر على أن القضية قضية سياسية وليدة ظروف و توجه من قبل بعض علماء الأمة كالسيد البروجردي (ره)، و الشيخ شلتوت، و محمد عبده، و الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، و السيد الحكيم، و السيد الإمام الخميني (ره)، و السيد الخوئي (قده)، و أنه لا أصل ديني لهذا المشروع.

و قبل أن أتناول التأصيل الفقهي لقضية الوحدة و تثبيت أنها أمر ديني، أود بعجالة أن أبين نقطة فقهية:

و هي أن الأدلة الفقهية التي يتبعها الفقهاء لا تنحصر في المصدرين الأساسيين و هما الكتاب العزيز و السنة المطهرة و التي يمثلها بالدرجة الأولى الروايات و الأخبار المأثورة، بل هناك دليلان آخران و هما العقل القطعي و الإجماع.

---

(٣) تحف العقول، ص١٢٧.

و هنا أقول: لو افترضنا أنه لا يوجد لدينا في الكتاب و السنة المطهرة ما يثبت تبني الدين لمشروع الوحدة، و أن الدين الإسلامي سكت عن هذا الموضوع نفياً و إثباتاً، و لكن العقل القطعي العملي يفرض علينا الالتزام بمشروع الوحدة، حيث أن العقل لما يدرك آثار الوحدة بين المسلمين بل بين المجتمع الإنساني و ما ينعكس على المجتمع من استقرار و هدوء و تعايش بسلم، فيحكم العقل العملي بلزومها و ضرورتها و يمدح ذلك، و عندما يدرك خطورة التفرق و التمزق و حالة الاحتراب و التخالف و التدابر، فيحكم العقل العملي بقبحها و لزوم الاجتناب عن كل ما يؤدي إلى الفرقة و يذم من يقترف ذلك، و العقل العملي القطعي هو أحد الأدلة التي يرجع لها الفقهاء.

و بعد هذا أقول: إن مفهوم الوحدة بين المسلمين أكدت عليه الكثير من النصوص كتاباً و سنةً.

- **ففي القرآن الكريم**: قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[٤] و في الآية أمر و هو الاعتصام بحبل الله، و اشتملت على نهي و هو التفرق.

و في الكتاب العزيز قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[٥].

فهذه الدعوات القرآنية تدعوا المسلمين إلى الاعتصام و التمسك بالمشتركات و ما عليه التلاقي، كما أن الآية الأولى لم تكتفي بالدعوة للوحدة و اقتصرت على ذلك، بل اشتملت على نهي و هو التفرق و التحزب و ترك ما يكون به الاشتراك.

---

(٤) آل عمران: ١٠٣.

(٥) الأنبياء: ٩٢.

- **و أما الروايات**: فهي كثيرة و قد دأب أئمة الحق و الهدى صلوات الله عليهم على تأديب شيعتهم على جملة من الأمور:

❖ **الأمر الأول**: حسن الجوار لمن جاورهم، و تتضح أهمية هذا الأمر في المجتمعات المفتوحة و التي تجمع أكثر من مزيج و تنوع مذهبي، كما هو الحال في زمن صدور هذه الروايات، ففي الكافي بسند صحيح عن أبي أسامة الشحام قال: (قال لي أبو عبد الله (عليه السلام): اقرأ على من ترى أنه يطيعني منهم ويأخذ بقولي السلام و أوصيكم بتقوى الله عز وجل والورع في دينكم والاجتهاد لله وصدق الحديث وأداء الأمانة وطول السجود وحسن الجوار فبهذا جاء محمد (صلى الله عليه وآله)، أدوا الأمانة إلى من ائتمنكم عليها براً أو فاجراً ، فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يأمر بأداء الخيط والمخيط، صلوا عشائركم واشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم وأدوا حقوقهم، فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق الحديث وأدى الأمانة وحسن خلقه مع الناس قيل: هذا جعفري فيسرني ذلك ويدخل علي منه السرور وقيل: هذا أدب جعفر، وإذا كان على غير ذلك دخل علي بلاؤه وعاره وقيل: هذا أدب جعفر، فوالله لحدثني أبي (عليه السلام) أن الرجل كان يكون في القبيلة من شيعه علي (عليه السلام) فيكون زينها آداهم للأمانة وأقضاهم للحقوق وأصدقهم للحديث، إليه وصاياهم وودائعهم ، تسأل العشيرة عنه فتقول: من مثل فلان إنه لآدانا للأمانة وأصدقنا للحديث)[٦].

❖ **الأمر الثاني**: أدبوا شيعتهم على التحفظ عن التعرض للأمور المثيرة للخلاف و الجدال، و التحفظ على الخصوصيات المذهبية، و بهذا هناك كم من التعليمات و النصائح في هذا المجال، و بهذا الصدد ففي هذا المجال روى عبد الأعلى قال: (سمعت أبا عبد الله

(٦) الكافي، ج٢، ص٦٣٦، ح٥، كتاب العشرة، باب: ما يجب من المعاشرة.

(عليه السلام) يقول: إنه ليس من احتمال أمرنا التصديق له والقبول فقط، من احتمال أمرنا ستره وصيانته من غير أهله فاقرأهم السلام وقل لهم: رحم الله عبداً اجتر مودة الناس إلى نفسه، حدثوهم بما يعرفون واستروا عنهم ما ينكرون .....)[٧].

و يشدد الإمام (عليه السلام) على ذلك، فعن القاسم شريك الفضل و كان رجل صدق قال: (سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: خلق في المسجد يشهرونا ويشهرون أنفسهم أولئك ليسوا منا ولا نحن منهم، أنطلق فأواري و أستر فيهتكون ستري هتك الله ستورهم، يقولون: إمام، أما والله ما أنا بإمام إلا لمن أطاعني فأما من عصاني فلست له بإمام، لم يتعلقون بإسمي، ألا يكفون إسمي من أفواههم فو الله لا يجمعني الله وإياهم في دار)[٨].

و في رواية صحيحة تؤكد النهي عن نشر القضايا المذهبية الخاصة، و هي صحيحة سليمان بن خالد عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (يا سليمان إنكم على دين من كتمه أعزه الله، ومن أذاعه أذله الله)[٩].

❖ **الأمر الثالث**: التعامل مع الآخر على أساس حسن الخلق، و في هذا المجال نجد تشدد الأئمة (عليهم السلام) على هذه القضية، و أن الاختلاف مع الآخرين و لو كان بحسب معتقدنا من الأصول لكن لا يبرر للشيعي سوء المعاملة مع من يختلف معه، أو إلغاء قواعد الاحترام و إلغاء أساس الأخلاق، ففي الرواية بسند صحيح عن معاوية بن وهب قال: (قلت له: كيف ينبغي لنا أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا وبين خلطائنا من الناس

---

(٧) الكافي، ج٢، ص٢٢٢ - ٢٢٣، ح٥، باب الكتمان.

(٨) الكافي ج٨، ص٣٧٤.

(٩) الكافي، ج٢، ص٢٢٢، ح٣، باب الكتمان.

ممن ليسوا على أمرنا؟، قال: تنظرون إلى أئمتكم الذين تقتدون بهم فتصنعون ما يصنعون فو الله إنهم ليعودون مرضاهم ويشهدون جنائزهم ويقيمون الشهادة لهم وعليهم ويؤدون الأمانة إليهم)[١٠].

❖ **الأمر الرابع**: التأكيد على الابتعاد عن الجدل الديني.

الجدل في القضايا الدينية عندما يبتعد عن قاعدة الجدال بالتي هي أحسن يكون جدالاً مرغوباً عنه، سلبياً و مؤثراً على العلاقات الاجتماعية، مولداً للبغضاء و الشحناء، و لا ينتج إلا التفرقة و التحزب لأن كل فرد يريد إثبات أحقيته دون طلب الحقيقة، و من هنا نهى أهل البيت (عليهم السلام) عن الخوض مع الآخر المختلف معه بالدخول في الجدل الديني من أجل إثبات صحة المعتقد دون الجدال بالتي هي أحسن و الذي يطلب به الحقيقة.

حرره العبد الفقير

محمود بن الحاج حسن العالي

(١٠) الكافي، ج٢، ص٦٣٦، ح٤، كتاب العشرة، باب: ما يجب من المعاشرة.